العربية الذاكرة

مجلة ربع سنوية - العدد الثالث - أكتوبر ٢٠١٩

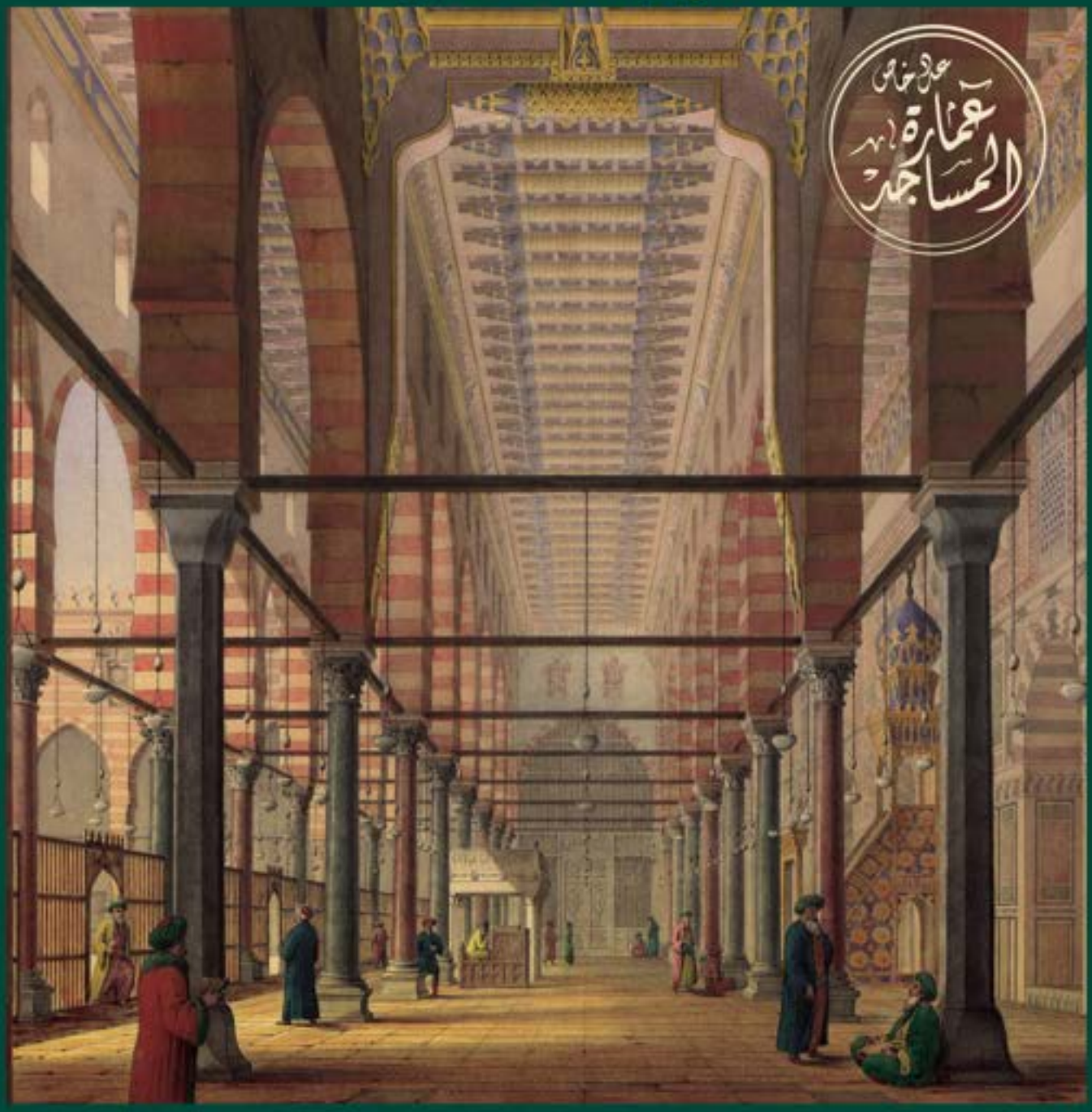

عدد خاص عن عمارة المساجد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

من إصدارات مكتبة الإسكندرية

نفائس المخطوطات بمكتبة الإسكندرية

للحصول على مطبوعات مكتبة الإسكندرية؛ يُرجى الاتصال بمنفذ البيع:
تليفون: ٤٨٣٩٩٩٩ (٢٠٣)+ داخلي: ١٥٦٠–١٥٦٢
فاكس: ٤٨٢٠٤٧٦ (٢٠٣)+
البريد الإلكتروني: sales@bibalex.org

الفهرس

المساجد الجامعة وتطورها	٢
الجامع الأموي الكبير في مدينة دمشق	١٨
العمارة الدينية بمدينة سامراء	٤٤
الجامع الكبير بصنعاء	٥٤
هوامش وملاحظات حول المسجد الجامع بالقيروان	٦٢
مساجد مدينة فاس	٨٢
مساجد الموصل التاريخية	١٠٨
الآثار الإسلامية في الإسكندرية (المساجد العثمانية)	١١٦
المساجد التاريخية في المملكة العربية السعودية	١٢٤
مساجد موريتانيا	١٣٤
عمارة المساجد والمدارس في موسوعة «المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية»	١٧٤

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الإشراف العام

أ . د . مُصْطَفى الفِقي

مدير مكتبة الإسكندرية

الهيئة الاستشارية

أ . د . أَيْمَن فُؤاد سَيّد

أ . د . أَشْرَف فَرّاج

د . مُحَمَّد الجَمَل

سكرتير التحرير

سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي

فاطِمَة نَبيه

مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط

الحَسَن عِصَام

خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، أكتوبر ٢٠١٩

طُبعت برعاية

OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

الجامع الكبير بصنعاء

بقلم: الدكتور علي سعيد سيف

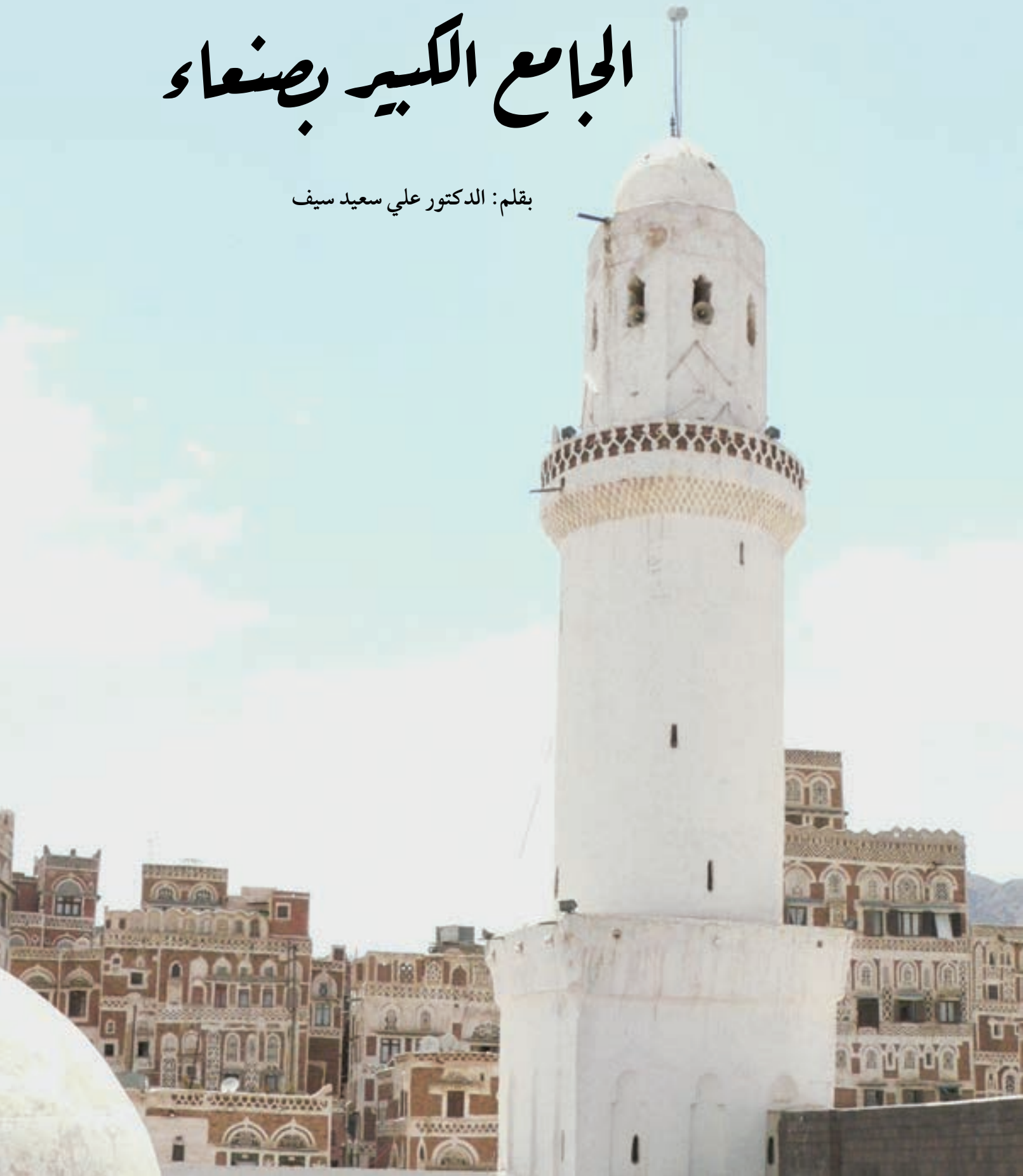

يعد الجامع الكبير بصنعاء من المساجد العتيقة التي بُنيت في صدر الإسلام؛ إذ أجمعت المصادر التاريخية على أنه بُني بأمر من الرسول ﷺ في نهاية السنة الثامنة/ التاسعة للهجرة، ولا يمكن نسبة تاريخ بناء المسجد إلى السنة السادسة للهجرة؛ وذلك لعدة أسباب، منها: أن اليمن لم يدخل بعدُ في الإسلام بسبب أن صاحب الأرض «باذان» لم يُسلم بعد، وأن الرسول ﷺ حدد موقع المسجد «في بستان باذان ما بين الصخرة المُلَمْلة إلى قصر غمدان، وأن يستقبل به جبل ضِين»، فهو بذلك أول مسجد بُني خارج الجزيرة العربية.

المنشئ

هناك خلاف حول شخصية المنشِئ؛ إذ يُروَى أن الرسول ﷺ أمر وبر بن يحنس الأنصاري ببنائه حين أرسله إلى صنعاء واليًا عليها، وفي رواية أن مؤسس المسجد هو فروة بن مسيك المرادي، وثمة رواية تشير أن الباني هو أبان بن سعيد بن العاص، وقيل المهاجر ابن أبي أمية، وثمة رواية تشير إلى معاذ بن جبل، ومهما تباينت الروايات فإن بناءه يرجع إلى فترة مبكرة؛ فجميع الروايات تذكر أن هؤلاء الصحابة أرسلهم الرسول ﷺ إلى صنعاء.

مراحل إنشاء الجامع

كان تخطيط الجامع الكبير في العصر النبوي عبارة عن مساحة مربعة (١٢ × ١٢م)، به اثنا عشر عمودًا، أشهرها المنقورة وهو العمود السادس من ناحية الجدار الشرقي الحالي، والمسمورة وهو العمود التاسع من ناحية الجدار الشرقي أيضًا، وتحصر الأعمدة الاثنا عشر فيما بينها ثلاثة أروقة، وكان يوجد بالرواق الشمالي المحراب الأصلي (لم يبقَ منه سوى طاقيته)، ويبدو أنه لم يكن للجامع إلا باب واحد في الجهة الجنوبية، ثم أخذت الزيادات والإضافات تتوالى على الجامع في فترات متعاقبة؛ حيث مر الجامع الكبير بالعديد من الإضافات والتوسعات، منها في العصر الأموي في عهد الوليد بن عبد الملك؛ إذ لما كتب الوليد لأيوب بن يحيى الثقفي بالولاية على صنعاء واليمن، أمره أن يزيد في مسجد صنعاء ويبنيه بناءً جيدًا محكمًا، فبناه أيوب بن يحيى وزاد فيه بدءًا من قبلته الأولى إلى موضع قبلته اليوم، وحضر وهب ابن منبه (التابعي) ذلك، وقال لهم: «إن أردتم أن تنصبوا قبلته فاستقبلوا به ضِينًا (الجبل المشهور قبلي صنعاء)».

ولما قَدِم عمر بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب واليًا على صنعاء بُوِّبَ مسجد صنعاء، ثم جُدد في عهد الخليفة المهدي عبد الله؛ حيث أمر واليه على اليمن علي بن الربيع سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م، بإصلاح الجامع، وذلك حسب ما ذُكر على اللوح الأبيض الموجود بالصحن بالخط الكوفي، ونصه كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم
لا إله إلا الله وحده لا شر
يك له محمد رسول الله أ
رسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون
أمر المهدي عبد الله عبد الله
أمير المؤمنين أكرمه الله
بإصلاح المساجد وعمارتها
على يدي الأمير علي بن الر
بيع أصلحه الله في سنة
ست وثلاثين ومائة فأعظم
الله أجر المهدي وثقل عمله

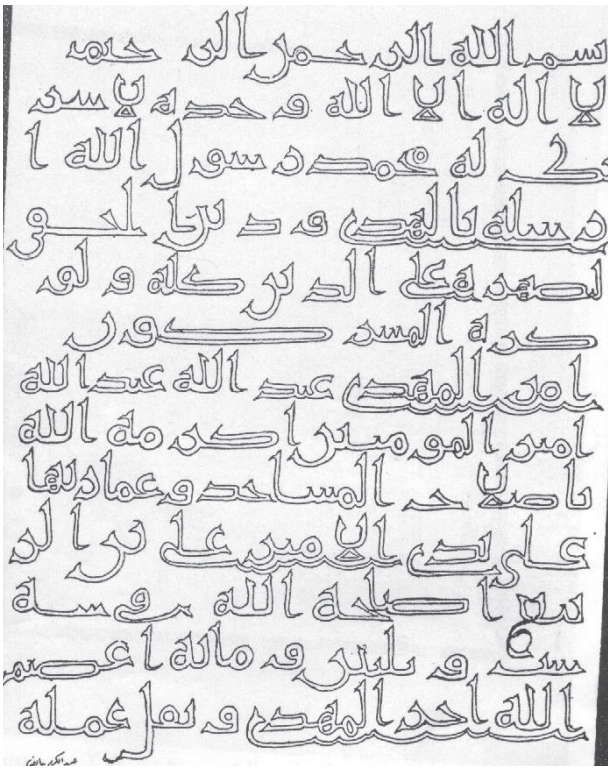

نقش تجديد جامع صنعاء.

كما جُدد الجامع في عصر الدولة اليعفرية عندما سقطت أمطار على الجامع سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م، فقام الأمير محمد بن يعفر بتعميره وتجديده، وسقَّفه بخشب الساج مع ابنه الأمير إبراهيم ابن محمد بن يعفر سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م، وذلك وفقًا للنصوص الكتابية المسجلة أسفل سقفي الجناحين الغربي والشرقي. وقد بلغ مقدار ما أنفقه بنو يعفر على بناء جامع صنعاء خمسة وعشرين ألف خزانة، في كل خزانة أربعة عشر ألف مثقال يعفري.

وذكر عُمارة اليمني أن الأمير الحسين بن سلامة مولى بني زياد ملوك زبيد، أصلح مسجد صنعاء في أواخر القرن الرابع الهجري. وفي عصر الدولة الصليحية، قامت السيدة بنت أحمد الصليحي بعمارة وإصلاح جناح القبلة والجناح الجنوبي سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م، وذلك وفقًا للنصوص الكتابية التي تؤكد ذلك.

وفي العصر الأيوبي، قام الأمير علم الدين وردسار الشاكاني بتجديد عمارة منارتي الجامع سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٣م، حيث سجل ذلك ضمن لوحين أسفل قاعدة المئذنة الغربية، ونصه كالتالي:

«المسجد الجامع بصنعاء أمر ببنائه رسول الله ﷺ قبل مسجد الجند، وأعيدت عمارة هذه المنارة الغربية من أساسها إلى علوها بأمر الأمير علم الدين وردسار بن بنامي الشاكاني، أنفق عليها من ماله في سنة ٦٠٣هـ بعد أن كملت عمارة الجبانة (مصلى العيدين) في مقدم صنعاء، ومصلى العيدين وضع على عهد النبي ﷺ، وأعيدت عمارته من أساسها إلى علوها، واحتفرت البئر التي فيه، وعمرت هي وضيعتها عمارة أخرى بأمر الأمير علم الدين وردسار، أنفق عليها من ماله، ووقف الضيعة والبئر على مصالح الجبانة».

وقيل إن الأمير وردسار أصلح المنارة الشرقية في الجامع بعد ذلك، وحفر البئر في الجامع، وعمّر المطاهير، والبركة، ووقف البستان العدني الموجود الآن ليسقى بالماء المستعمل ويجدد ماء المطاهير من البئر. وقد توالت بعدها أعمال التجديدات والترميمات على الجامع في فترات متلاحقة، منها قيام الوزير مراد باشا في أواخر القرن العاشر الهجري بعمل منبر جديد، وأدخله المسجد سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م، ووضعه عموديًّا على جدار القبلة، فكان حائلًا دون إكمال الصف الأول من المصلين، فأصلحه الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م بأن جعله موازيًا لجدار القبلة، وقد ثبت هذا الإصلاح بكتابة على مؤخر المنبر. كذلك عملت القواطع الزجاجية التي سدت بها فتحات الأروقة المطلة على الصحن على يد الحاج أحمد عطا سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. وتم بناء المكتبة في سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م على يد المتوكل على الله يحيى ابن الإمام المنصور بالله بن حميد الدين، كما يبينه النص المكتوب على الجدار الخارجي للمكتبة المذكورة، وهو:

سل يا فتى مولاك في تاريخها المغفرة

وفي العصر العثماني أيضًا أنشأ السلطان سنان باشا قبة الزيت، ورصف صحن الجامع بأحجار البازلت الأسفنجي، لكنه لطول مدته تصدع، فأعاد رصفه القاضي السياغي سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٧م، وأصبح المسجد مع هذه الزيادات يتسع لنحو اثني عشر ألف مصلٍ.

التخطيط والوصف المعماري

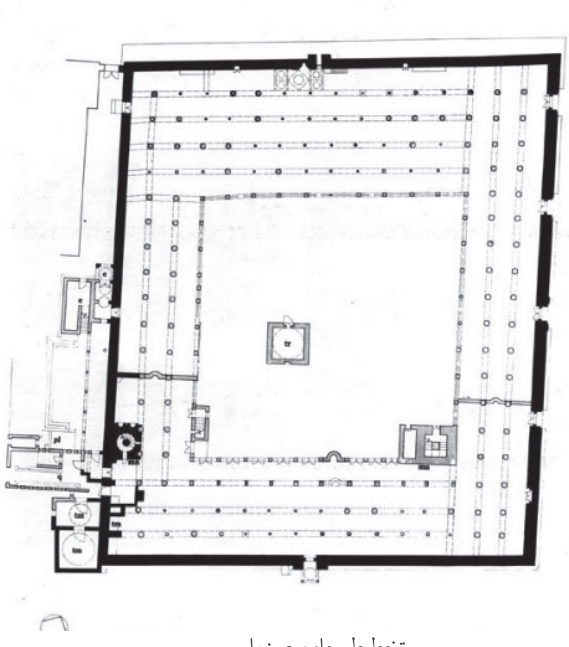

تخطيط جامع صنعاء.

الجامع مستطيل الشكل، تبلغ مقاييسه نحو (٨٤,٦ × ٦٩,٣م)، يتكون من صحن أوسط مكشوف مساحته (٣٨,٩٠ × ٣٨,٢٠م)، يتوسطه كتلة معمارية مربعة الشكل تعرف بـ«قبة الزيت»، ويحيط به أربعة أروقة، أعمقها وأكبرها رواق القبلة.

المسجد من الخارج

بنيت جدران الجامع بكتل كبيرة من الحجارة، زينت هذه الجدران من أعلى بشرّافات مسننة، ويفتح في الجدار الشرقي خمسة أبواب هي: الباب الأول وهو منسد، يليه الباب الثاني «الدحاح»، والباب الثالث الأوسط، والباب الرابع المفتوح، والباب الخامس «الرعد». أما الجدار الغربي فيفتح فيه أربعة أبواب: الأول يعرف بباب «الكشك»، والثاني يعرف بـ«الكرع»، والباب الثالث يعرف بالباب «الطويل»، والباب الرابع مغلق يؤدي إلى مطاهير قديمة مهدمة. أما الجدار الجنوبي فيفتح فيه باب واحد تتقدمه قبة أقيمت على أربعة عقود. أما الجدار الشمالي (جدار القبلة) فيفتح

فيه ثلاثة أبواب؛ الأوسط منها لدخول الإمام، وقد أغلق البابان الجانبيان بالحجارة بعد بنائهما، واستخدما خزانة للمصاحف.

الصحن

يتوسط المسجد صحن مكشوف مربع الشكل طوله نحو ٤٠م، وتطل عليه أروقة المسجد بأعمدة مربعة فوقها تيجان، يقوم عليها عقود نصف دائرية، وتقع قبة الزيت إلى الجنوب الغربي من الصحن، وهي عبارة عن بناء مربع مغطى بقبة، قاعدته مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء، يتكون من غرفتين إحداهما فوق الأخرى، ويُفتح في جدارها الغربي باب.

رواق القبلة

عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل، تتكون من ستة أساكيب/ أروقة/ بلاطات، يقطعها خمسة صفوف من الأعمدة، في كل صف خمسة عشر عمودًا؛ بعضها منقول من أبنية قديمة، وبعضها منحوت في العصر الإسلامي، تحمل تيجان مشطوفة الأركان، وتحمل هذه الأعمدة عقودًا نصف دائرية.

المحراب

يتصدر جدارَ القبلة المحرابُ، وهو عبارة عن حنية خالية من الزخارف عدا شريط أضيف إليها مؤخرًا، نصّه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ويتوج الحنية طاقية مضلعة، ويحف بها عمودان جصيان مندمجان، يتكون كلٌّ منهما من بدن مستدير يرتكز على الأرض مباشرة، ويعلو كل عمود تاج مشطوف عند حافته الداخلية، وغطي العمود والتاج بزخارف نباتية متنوعة. ويعلو تاج العمود عقد مدبب مطول، زينت واجهته بكتابة بخط الثلث على مهاد من الزخرفة النباتية نصها: «محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين الشهيد بكربلاء صلوات الله عليهم أجمعين». ويحف بالعقد من الجانبين زخرفة نباتية، قوامها غصن نباتي أفعواني الحركة، تخرج منه أنصاف مراوح نخيلية. أما كوشتا العقد فقد زينت بزخرفة قوامها غصن نباتي متشابك، وينتهي كل طرف فيه بنصف مروحة نخيلية، ويعلو عقد حنية المحراب شريط كتابي بخط الثلث نصه: «عمل هذا المحراب بعناية القاضي الأجلّ ضياء الدين عمر بن سعيد الربيعي أجزل الله ثوابه في سنة خمس وستين وستماية».

كما يكتنف الحنية عمودان مندمجان آخران، يتكون كل عمود من بدن وتاج ناقوسي الشكل، تغطيه زخرفة عبارة عن أشرطة هندسية مضفورة، ويعلو بدن كل عمود تاج ناقوسي الشكل، تغطيه زخرفة قوامها أشرطة هندسية مضفورة، حصرت فيما بينها

مراوح نخيلية، ويعلو كل تاج حدارة كتب على وجه كلٍّ منهما ثلاثة أسطر، الحدارة الأولى من جهة اليمين كتب عليها ما نصّه:

«عمل هذا المحراب العبد الفقير

إلى الله عبد الصمد بن أحمد بن

أبي الفتوح وولده أحمد وجعلا

وأكمل النص في الحدارة الثانية جهة اليسار، وكُتب عليها ما نصّه:

ما يستحقانه من الأجر علا عمله

صدقة لوجه الله ورجاء ثوابه

غفر الله لهما ولوالديهما وللمسلمين».

ويرتكز على الحدارة عقد مدبب مطول، زين بزخرفة كتابية نصها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وزينت أعلاها زخرفة نباتية محورة. أما باطن العقد فقد شغل بثلاثة أشرطة زخرفية؛ الأعلى عبارة عن عنصر زخرفي منفذ بالتكرار بما يشبه الشرّافات، أما الأوسط فقد شغل بزخرفة قوامها أغصان نباتية ذات حركة أفعوانية متشابكة، تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية، وتحصر بينها مراوح نخيلية ثلاثية الفصوص، وأما الشريط الأسفل فقد شغل بنص كتابي: «كلما دخل عليها زكريا المحراب». ويحيط بكتلة المحراب شريط كتابي بخط الثلث نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا. وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا». ويكتنف المحراب من الجانبين شريط، قوامه أغصان نباتية أفعوانية الحركة متشابكة، تخرج منها أنصاف مراوح نخيلية، وشغل الفراغ بزهرة خماسية الوريقات.

المنبر

يقع على يسار المحراب منبر خشبي حديث؛ إذ يعود إلى سنة ١٣٣٨هـ. والتكوين العام يتمثل في المدرج وجلسة الخطيب، ويشتمل المدرج على الصدر والسلم والريشين والسياج والمنطقة أسفل جلسة الخطيب، أما جلسة الخطيب فتشتمل على المنطقة المخصصة لجلوس الخطيب أعلى المنبر، والجوسق الذي يعلوه يتكون من أربعة قوائم خشبية تحمل الطاقية، بالإضافة إلى ظهر المنبر.

الرواق الشرقي

يتكون هذا الرواق من ثلاث بلاطات، بواسطة ثلاثة صفوف من البوائك، وتسير عقودها عمودية على جدار القبلة، ويغلب على العقود الشكل نصف الدائري. ويتميز هذا الرواق بروعة المصندقات الخشبية الموجودة في السقف، التي تتميز بالزخارف النباتية والهندسية، والتي لا تزال إلى اليوم تحتفظ بروعتها وجمالها. وقد أثير حول هذا الرواق نقاش حول مَن بناه؛ فقد اكتُشف نص تأسيسي في الرواق الشرقي ضمن الشريط الكتابي، فحواه: «مما أمر بعمله الأمير إبراهيم بن يعفر سنة سبعين ومائتين»، وهذا دليل قاطع على نسبة الرواق الشرقي لبني يعفر؛ إذ تكرر هذا النص أكثر من مرة.

الرواق الغربي

يتشابه هذا الرواق إلى حدٍّ كبير مع الرواق الشرقي؛ حيث يتكون من ثلاث بلاطات، بواسطة ثلاث بوائك تحمل عقودًا نصف دائرية عمودية على جدار القبلة، وفي الأسكوب العاشر للبلاطة الأولى من الرواق الغربي تقوم قاعدة المئذنة الغربية ملاصقة للجدار الغربي من الجامع، وينتهي هذا الرواق في الأسكوب الثاني عشر عند باب في الجدار الغربي يؤدي إلى المطاهير، ويلاحظ وجود ضريح في الناحية الجنوبية من هذا الرواق، يطلق عليه ضريح النبي حنظلة بن صفوان.

الرواق الجنوبي

يتكون هذا الرواق من أربع بلاطات، بواسطة أربع بوائك، وفي كل بائكة خمسة عشر عمودًا، والأعمدة والدعائم جاءتا بأشكال متنوعة، منها المستديرة والمربعة والمستطيلة، وهي تشبه أعمدة رواق القبلة، ويوجد على بعضها كتابات حميرية، وقد أضيفت البائكة الأخيرة المطلة على الصحن مؤخرًا، وتحمل الأعمدة والدعائم عقودًا نصف دائرية. وأهم ما يميز هذا الرواق وجود عمودين يطلق على أحدهما «المنقورة» وعلى الآخر «المسمورة».

أسقف الجامع

يتميز الجامع الكبير بصنعاء بسقفه الثانوي (المستعار)، حيث غطيت أروقة المسجد بسقوف خشبية زينت بشتى ضروب الزخرفة، وعكست اهتمام الحكام خلال العصور الإسلامية، ولذا تنوعت أنماط الزخارف، وتعددت مستويات المصندقات الخشبية التي تشكلت بفعل الجوائز الخشبية الأفقية والعمودية على جدار القبلة، ويحيط بهذه السُّقف من أدناها إزار خشبي حفرت عليه آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأسماء أئمة الفاطميين وغيرهم بخط كوفي مورَّق.

سقف رواق القبلة

يتكون سقف هذا الرواق من جوائز خشبية عمودية على جدار القبلة، تتقاطع مع عوارض خشبية موازية لهذا الجدار، حصرت حشوات مربعة، وتغطي جوانبها كتابات قرآنية بخط كوفي مورَّق رائع، كما تتكون زخارفه من أشرطة متقاطعة مكوِّنة في الوسط نجمة ثمانية، داخلها زخرفة الأرابيسك الجميل، وتحيطها أشكال هندسية متناظرة، إلى جانب ذلك توجد زخرفة عبارة عن وريدات بارزة، كما يزين وسط المصندقات زهرة شكلت داخل مستطيلات ومربعات، يعقد عليها عقد مفصص، يتوسط كوشة العقد شكل هلال كبير يتدلى من شريطين، ويشبه العنصر الساساني المجنح، فضلًا عن وجود عناصر زخرفية على شكل هلال؛ زين بعضها بأشكال سداسية غائرة ومعينات وسداسيات وزهرات بارزة، وبعضها محمول على مقرنصات من حطتين، والبعض على كوابيل صغيرة أو كبيرة، عليها شكل العنصر الساساني المجنح واضح.

سقف الرواق الشرقي

يعتبر سقف الرواق الشرقي أجمل سقوف المسجد قاطبة، ويمتد من جدار القبلة إلى جدار الرواق الجنوبي، ويتكون من جوائز عرضية تتقاطع مع أخرى مشكِّلة مصندقات مربعة المقطع منتظمة الجوانب، واجهتها السفلية مغطاة بزخارف رائعة، وتكاد كل مصندقة منها تختلف عن الأخرى في تصميمها وفي الزخارف التي نفذت عليها، وقد نجد الجامات المحفورة على هذه المصندقات متشابهة، إلا أن زخارفها مختلفة؛ فقد أعمل فيها الفنان ذهنه لإنجاز هذه الملحمة الزخرفية، فوضع فوق المصندقات الخشبية ألواحًا خشبية طويلة أصغر حجمًا، بحيث قسمت المسافة بين كل مصندقتين إلى خمسة مربعات، إطار كل مربع منها يتكون من زخرفة البيضة والسهم، وداخل كل مربع كبير مربع آخر أصغر منه، زواياه تقطع منتصف أضلاع المربع الأول،

مكوِّنة مثلثات بها زخارف نباتية محفورة، وفي باطن كل مربع داخلي يوجد زخرفة نباتية تختلف عن الأخرى، وكل منها يتكرر باتجاه عمودي على جدار القبلة.

ويبلغ عدد المربعات الزخرفية في الرواق الشرقي ١٧٢٥ مربعًا فقط، وسط كل منها دائرة مشكَّلة من نقاط أو دوائر صغيرة ملوَّنة بالأبيض تشبه الفسيفساء، داخلها أشكال متعددة لزخارف نباتية محورة عن الطبيعة وأشكال نجمية، أما الجوائز فزخارفها محفورة حفرًا غائرًا أو بارزًا أو منقوشة نقشًا خفيفًا، ثم وضعت فوقها الألوان، هذه الزخارف جميعًا تمثل أشكالًا هندسية من مستطيلات ومعينات ومربعات، إضافة إلى الزخارف النباتية، وهذا التنوع الكبير في الوحدات الزخرفية يدل على مهارة الفنان ودقته الفائقة وحفظه للوحدات التي صممها، وأسفل

السقف في هذا الرواق إزار خشبي عريض يدور حول البلاطات الثلاث من جميع النواحي، وعليه كتابة محفورة بخط كوفي مورَّق لآيات قرآنية وبعض النصوص الدينية.

سقف الرواق الغربي

أما الرواق الغربي فيتكون سقفه من جوائز وألواح خشبية، بينها حشوات مربعة شبيهة بحشوات الرواق الشرقي، ويبدو أن سقف الرواق الغربي ربما يرجع إلى الترميمات التي أجراها اليعفريون في المسجد في القرن الثالث الهجري.

وقد زينت جوائز سقف هذا الرواق بزخارف مرسومة بالألوان، وجاءت عبارة عن حشوات مربعة شغلتها زخارف هندسية ونباتية، والحشوات المربعة داخلها مربع آخر أصغر حجمًا، يقطع زواياه أنصاف أضلاع المربع الأول، وداخل المربع الثاني زخرفة بارزة من حبيبات بيضاء على أرضية سوداء، تكوِّن إطارًا دائريًّا لعنصر زخرفي مذهّب على أرضية زرقاء، وهذا العنصر يتنوع تنوعًا كبيرًا يصعب معه العثور على وحدتين متشابهتين، وتمثلت هذه الزخارف في الأفرع النباتية التي تخرج منها أوراق وعناقيد العنب وكيزان الصنوبر وعناصر مجنحة.

وقد أزيل معظم الإزار الخشبي من الجدار الغربي للمسجد بفعل الترميمات، عدا قطعة فوق الباب الثاني قريبة من المنارة الغربية وعلى قاعدتها؛ إذ نرى فوق واجهتها الشمالية كتابة بالخط الكوفي نصها: «الأمير إبراهيم بن محمد بن يعفر سنة خمس وستين ومائتين».

سقف الرواق الجنوبي

يتشكل سقف هذا الرواق من جوائز خشبية عمودية على جدار القبلة، تتقاطع مع عوارض خشبية أفقية شكلت مصندقات، زينت بزخارف بسيطة من خطوط بيضاء رفيعة تملأ المربع الأوسط، ويتوسطها دائرة بيضاء مسدودة، أما الجوائز فتزينها دوائر مملؤة بزخارف نباتية، إلى جانب وجود حشوات مربعة زينت بوريدات زهرة، وأشكال نجمة سداسية وأشكال دائرية من نقاط بيضاء كبيرة، داخلها زخارف نباتية وهندسية على أرضية زرقاء، تحيطها زخارف أخرى نباتية متنوعة ما بين الورقة الثلاثية والمرواح النخيلية، ويحيط بالسقف إزار خشبي عليه كتابة محفورة بالخط الكوفي الجميل، وقد انعدم التناظر والترتيب في زخارف الحشوات.

المآذن

للجامع الكبير بصنعاء مئذنتان، تعدان من المآذن الأولى التي شيدت في صنعاء، وما زالت هاتان المئذنتان قائمتين منذ زمن تجديد بنائهما في بداية القرن السابع الهجري. يقول «العرشاني»؛ أحد أمراء بني أيوب في اليمن، الذي انتُدب لعمارة المنارتين اللتين في الجامع بتاريخ منتصف شهر ذي الحجة سنة اثنتين وستمائة: «ومن مآثر علم الدين بناء منارة جامع صنعاء»، ولكنه أيضًا لم يحدد أيًّا من المنارتين هي المقصودة؛ الشرقية أم الغربية.

المئذنة الشرقية

يقول عنها العرشاني: «إنها كانت قد انتقضت في فترة متقدمة أي قبل سنة ٦٠٣هـ، وبني فيها الشيء اليسير في مدة طويلة هي ثماني سنين، ثم إن الأمير أمر بعمارة هذه المنارة، وكان ذلك فوق البناء السابق حتى وصلت العمارة إلى موضع الدرابزين، فأمر بعمل درابزين فيها، فعمل من ألواح جيدة حسنة مزوقة، وسمّرت بالمسامير الحديد الغليظة البليغة، وأحكمت صنعته، ولم يعلم منذ الإسلام أنه كان في صنعاء منارة لها درابزين ولا في جميع بلاد اليمن، ولم يكن أحد من صناع صنعاء عمل قبلها منارة بدرابزين، وقد عملوا ذلك برأي الأمير وترتيبه، ثم بنيت المنارة من الدرابزين إلى موضع القبة المثمنة، وعمل تحت القبة موضع بالسكارج الخضر، ثم عملت القبة صنعة محكمة، وكتب على أحجار اسم هذا الأمير، ونزِّل الحجر في شرق المنارة من جملة البناء».

وهذه المئذنة تقع في الركن الجنوبي الشرقي من صحن المسجد وتبرز إلى الصحن، وهي تتكون من قاعدة مربعة يفتح فيها باب في الجهة الشمالية، يوصل إليه من صحن المسجد، يقوم عليها بدن أسطواني الشكل بباب يؤدي إلى سطح القاعدة، ويتخلل هذا البدن فتحات صغيرة للإضاءة، وحشر في البدن حجر رخام مصفر مغطى حاليًّا بطبقة جصية، كتب عليه اسم باني المئذنة ونصّه: «عمارة هذه المنارة الأمير الأجلّ الكبير الأعز المختار ملك الأكراد مصطفى... أمير علم الدين وردسار بن بنامي الشاكاني أنفق عليه من ماله»، ويقوم على هذا البدن شرفة أقيمت على حطات من المقرنصات، وهي من التجديد الأخير الذي حصل للمنارة، ويعلو الشرفة الجوسق، وهو مثمن الشكل، فتح فيه باب المؤذن ونوافذ للإضاءة والتهوية، ويتوج المئذنة قبة مستديرة الشكل، تنتهي من أعلى بعمود حديدي في قمته جوزة (كرة).

المئذنة الغربية

تقع في الرواق الغربي للمسجد، وتقطع صفوف المصلين ببروزها إلى الرواق، ويسير جدار قاعدتها الغربي مع جدار المسجد الغربي، وما زالت هذه المئذنة محتفظة بمعالمها المعمارية منذ زمن تجديد بنائها في سنة ٦٠٣هـ، كما يشير إلى ذلك النقش الذي حشر في جدار القاعدة من الجهة الشرقية، والذي ينصّ على:

المسجد الجامع بصنعاء أمر ببنائه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مسجد الجند وأعيدت عما
رة هذه المنارة الغربية من
أساسها إلى علوّها بأمر الأمير
الكبير الأعز المختار أمير الأمراء ملك
الأكراد مصطفى
علم الدين وردسار بن بنامي
الشاكاني أنفق عليها من
ماله في سنة ثلاث وستمائة
بعد أن كملت عمارة الجبّانة
مصلّى العيدين في مقدم صنعاء
ومصلّى العيدين وضع على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم وأعيدت
عمارته من أساسها إلى علوّها
واحتفرت البئر التي فيه وعمّرت
هي وضيعتها عمارة أخرى
بأمر الأمير علم الدين ورد
سار أنفق عليها من ماله ووقف
الضيعة والبئر على مصالح الجبّانة

هذا، ويصف العرشاني هذه المنارة بقوله «نقضت المنارة الغربية إلى غاية أسفلها، ثم عمل أساسها على الصحيح من الأرض، ثم بنيت بالأحجار قليلًا، ثم أطلع بناؤها بالآجر والجصّ، وفرغ بعض عمارتها إلى قريب من السقف في خلال المدة اليسيرة. ثم لم تزل العمارة متّصلة غير منقطعة بالآجر والجصّ والحديد حتى بلغت حدّ الدرابزين. ثم عمل درابزينها صنعة محكمة أكثره بالساج حتى أصلح وأتقن، وعمل باقيها مسدسًا، وركبت قبتها وباقي صنعتها على حسن صنعة وأتقنها، وأحكم بناء وأحسنه، وركب في رأسها على صورة السفينة من النحاس، وعمل له عمود من حديد، وكان الفراغ من عمارتها لست عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من شهور سنة ثلاث وستمائة».

وهي تتكون من قاعدة مربعة الشكل، فتح فيها باب في الجهة الجنوبية، مبنية من الحجر حتى منتصفها، ثم أكملت بالآجر، ويقوم عليها بدن أسطواني الشكل فتح فيه فتحات صغيرة للإضاءة، ينتهي هذا البدن بشرفة مضلعة مقامة على كوابيل خشبية، وهي باقية منذ زمن البناء، كما أشار إلى ذلك العرشاني، لها سياج يرتفع مترًا، ويقوم عليه رقبة مسدّسة الأضلاع، فتح فيه باب المؤذن، وينتهي هذا البدن من أعلى بفتحات.

من إصدارات مكتبة الإسكندرية

أبحاث المؤتمر الدولي

الحضارة الإسلامية في الأندلس